فأما رأينا أن نخرج إليهم فعلنا وكان المسجد على باب بيته ولم يكن يدخل عليه في منزله
فقال للرسول فقل إن نخرج إليهم من هم فقال فلان وفلان وسماهم فقال البشر هؤلاء من
أصحاب صلاة أصحاب المجلس ولم نخرج لكافتهم إنهم يصلحون لنخبة علمه فلم يذهب
وقته بوقتهم وكذلك العالم وقته في خلوته أعز عليه فإن وافق خصوص إخوانه آثرهم على
خلوته فكان ذلك مزيدا لهم وإن لم يوافق لم يؤثر على خلوته ووقته غيره فيكون مناقضا
للحال فيه وقد كان أبو الحسن رحمه الله يخرج إلى أحق أنه مرة إلا أمكان علمه
بمجلس إليهم وبين أيديهم وربما دخلوا عليه نهارا أو ليلا ولعله في أن المذاكرة تكون في
النظراء والمحادثة مع الإخوان والجلوس للعلم يكون للأصحاب والجواب عن المسائل نصيب
العموم وكان عند أهل هذا العلم أن علمهم مخصوص لا يصلح إلا للخصوص والخصوص قليل فلم يكونوا
ينطقون به إلا عند أهله ويرون أن ذلك من حقه وأنه واجب عليهم كما جاء عن علي عليه السلام
وقوله حتى يودعوا أمثالهم ويزرعوه في قلوب أشكالهم وكذلك جاءت الأخبار عن نبينا صلى الله
عليه وسلم وعن عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها
أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق الذي يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ
آخر من وضع الحكمة في غير أهلها جهل ومن منعها أهلها ظلم وإن للحكمة حقا وإن لها أهلا
فأعط كل ذي حق حقه وفي حديث يا عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجوهر في أعناق
الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير وكان بعض هذه الطائفة
يقول قصب هذا العلم سكوت ونصبه ترديه إلى نصفه **وقال** بعض العارفين متى
كلم الناس بمبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخاطبهم بقدر حدهم وقدر فهمهم ولم
يؤد حق الله تعالى فيهم وكان يحيى بن معاذ يقول اعرف لكل واحد من نفر واسقه
بكأسه ونحن نقول بمعنى كل لكل عبد بمقدار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم
منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار وهو قريب بعض أشياخنا من
هذه الطائفة عن أبي عمران وهو المزين الكبير قال سمعته يقول لا في حلق الكتابة وكان
بهذا العلم يزوركه لجميع الفقراء فجعل أبو عمر إن بعد ... عن بدله وكثرة كلامه
فبدأه أن قال أنا منذ عشرين سنة أسأل الله أن ينسيني هذا العلم ولقد رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسمعته يقول إن لكل شيء عند الله تعالى حرمة
ومن أعظم الأشياء حرمة الحكمة فمن وضعها في غير أهلها طالبه الله بحقها ومن طالبه
الله بحقها ومن طالبه خصمه وكان بعض السلف يقول إذا استشار رجل أن يسأل ربه واجب
أن يسأل في مجلس لا يذاكر فيه غير ولا دوام المذاكرة لا رتبة والعشرة ودفعة عشي
وقد كان يجتمع في مجلس القصاص المذكرين والواعظين مئون من عند الحسن إلى وقتنا
هذا هم أيضا من العرف فيما أن العلم مخصوص للقليل وأن القصص عام للكثير وقال
بعض علمائنا كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الذكر والوعظ ولم يكن من

يتكلم

يتكلم في علم المعرفة واليقين والمقامات والأحوال إلا ستة منهم أبو محمد سهل والصبحي
وعبد الرحيم وقد قيل من لم ينتفع بسكوت العالم لم ينتفع بكلامه في بغيتي إن تأدب
بصمته وخشوعه وورعه ويقتدي بهديه فهذه الحال ينتاب بلحظه ويقتدي بكلامه على
أنهم كانوا يقولون علم الظاهر من علم الملك وعلم الباطن من علم الملكوت يعنون أن ذلك
من علم الدنيا لأنه يحتاج إليه في أمور الدنيا وهذا من علوم الآخرة لأنه من زادها وهذا
كما قالوا كان اللسان ظاهر يشير من الملك وهو خزانة العلم الظاهر والقلب خزانة
الملكوت وهو باب علم الباطن فقد صار فضل علم الباطن على الظاهر كفضل الملكوت على الملك
وهو الملك الباطن الخفي وكفضل القلب على اللسان وهو الظاهر الجلي وكان بشر بن الحارث يقول
حدثنا وأخبرنا باب من أبواب الدنيا وقال مرة الحديث ليس من زاد الآخرة **وحدثنا**
بعض أشياخنا عن بعض شيوخه قال قيل له بضعة عشر ما في ... ومرة الحبيب
لم يحدث منها بشيء إلا ما سمع منه فلان في الدهر وكان رحمه الله يقول إنا أشتهي أن
أحدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت ثم قال إنا أجاهد نفسي منذ أربعين سنة
وقال إذا سمعت الرجل يقول حدثنا وأخبرنا فإنما يقول أوسعوا لي وقال هو وغيره إذا
اشتهيت أن تحدث فلا تحدث وإذا لم تشته أن تحدث فحدث وقد كان الثوري قبله
يقول فتنة الحديث أشد من فتنة المال والأهل والولد وكانت رابعة العدوية تقول
نعم الرجل سفيان لولا أنه يحب الحديث وقالت مرة لولا أنه يحب الدنيا يعني اجتماع الناس
حوله للحديث وقال أبو سليمان الداراني من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشا فقد ركن
إلى الدنيا وقال بعض هذه الطائفة كل من أمر لك العلوم بحمل العلم بالله فقد استتر رحمه
والذي أمر به العلم بالله تعالى وقد ذكر الله تعالى قوله تعالى لولا أن تداركه نعمة من
ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم في تروح بعلم المعرفة لطرح في بعد العراء في حيث
الغير وهو علم اليقين والعراء البعد وهو علم المعقول بعد أن حسب اليقين وقال
أيضا في بعض قوله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم أي ثبتناك بالمعرفة لقد
كدت تسكن إلى علوم العقل وكان أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال لسانا ينطق عنك لا ينطق عن شيء دونك
وفضل العلم بالله والعلم بالإيمان وعلم اليقين على العلم بالأحكام والقضايا كفضل
المشاهدة على الخبر **وقد قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخبر
كالمعاينة وفي لفظ آخر ليس المخبر كالمعاين وقد روى عياض بن غنم عن
النبي صلى الله عليه وسلم في تقسيم أهل الجنة علم اليقين كما في العبر
وفي هذا الخبر أن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون
سرا من خوف عذابه أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا
وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون إلى الله بالوسيلة في الدنيا ...

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)